BIBLIOTHECA ALEXANDRINA
مكتبة الإسكندرية

منتدى الحوار

Dialogue Forum

(DF)

القيـــم الدينيـــة والمعاصَـــرة

صلاح فضل:

ندوتنا اليوم في منتدى الحوار ذات مذاق مميز وأهمية خاصة، لأنها قبل كل شيء ترتبط بأمر جوهري لدينا نحن أبناء الشعب المصري وهو هذا الحس الديني العميق الذي يكاد يميزنا عن بقية شعوب الأرض. هذا الحس المسئول عن منظومة قيمنا وعن لحظات توهجنا الحضاري عبر التاريخ وعن لحظات انتكاساتنا التي حدثت عبر التاريخ. ما شأن هذا الشعب مع الدين؟ بدأ به بناءه العظيم الجبار منذ العصور الأولى، صنع به وفي ظله حضارته وثقافته، ويكاد أن يكون قد غزا به هذا الكون. تربت في حضنه خمائر الأديان قبل السماوية والسماوية تقريبا كلها، بقيت حقائق الدين في وجدان أبنائه ماثلة عبر العصور، لكن الأسئلة الساخنة التي علينا أن نتأملها اليوم بتمعن وتعمق، يمكن أن نوجزها في ثلاثة، فعبر هذه المسارات الروحية الكبرى للشعب المصري، تشكلت منظومته القيمية التي توجه رؤيته للحياة وتتحكم في مصيره، والسؤال هل يوجد بها شيء من التناقض والذي ينبثق من حين إلى آخر ليمزق سطحها الساكن أو ليشوب سلامها الدائم أم أنها متجانسة متناغمة لا تناقض فيها وإنما قد يُفتعل بعض هذا التناقض؟ هذا هو السؤال الأول وهو ما عُقدت له هذه الندوة التي روعي في تصميمها أن ترعى وتحتضن علمين من أبرز من فوضهم مجتمعنا وثق بهم وبمصداقيتهم أن يتحدثوا وأن يعبروا عن ضميره. السؤال الثاني أنه إذا كانت المنظومات الدينية على اختلاف مصادرها هي المسئولة عن لحظات توجهنا الحضاري كما أشرت، فإلى أي حد قد تمثل عوائق في مسيرتنا؟ أم أن سوء الفهم لها وعمق التفسير لدلالاتها هو الذي يحيلها إلى عوائق بدلا من أن تكون باعثا إيجابيا لهذا الإنسان المصري لكي يثبت حضوره ولكي يستمر في عطائه وإنجازه؟ بمعنى أن الحضارة المعاصرة نحن نتطفل عليها، نتفرج على منجزاتها، لا نشارك في صناعتها ولا نسهم في بنائها، فهي مبنية على العلم، ونحن أبعد ما نكون في حاضرنا اليوم عن إنتاج هذا العلم بل حتى عن الاستهلاك الرشيد له، فهي مبنية على المعرفة، ونحن لسنا في ظروف على الإطلاق تجعلنا مساهمين حقيقيين الآن بكل ما يتمثل فينا ونعرفه ونديره ونتأمله من نواقص بعيدين عن أن نضيف شيئا جوهريا إلى هذه المعرفة. ألا تعد نظرتنا التي تفسر قضايا الدين أحيانا لكي تضعه عائقا أمام التطور مسئولة عن ذلك على الرغم من أن ماضينا القريب وليس البعيد فحسب كان يعتمد على استثمار هذا

الحس الديني لكي يكون باعثا للنهضة والتقدم والعلم والمعرفة، فما بالنا إذن إذا وصلت البشرية إلى إنجاز علمي جيد، سارعنا إلى أن نسأل هل هو حرام أم حلال وكأننا نضع العائق قبل الإنتاج وكأننا نشترط الوظيفة قبل إبداع الخطوة العلمية ذاتها وكأن الحياة قد انكمشت وتلخصت وأصبحت في مسيرتها لا تنقسم إلا إلى حلال وحرام، وكأن مسيرة هذا الشعب وتطوره وثقافته وخبرته وتجاربه لا تهديه بالفطرة إلى ما فيه خير له ولمستقبله، إلى أي حد يلعب سوء توظيف القيم الدينية دورا في تعويق نهضتنا الحضارية. وكما ترون فإنني آثرت أن أبدأ بهذه التحديات لأنني أمام علمين كبيرين لابد أن ننفث أمامهما مواجدنا وأن نعبر عن مشاعرنا ثقة بأنهما كفيلان وجديران بأن يصححا ما شاع لدى الناس من تناقض بين الدين والعلم وبين الدين والحضارة. إن منظومة القيم المنبثقة من الدين وهي مدار هذا الحوار من شروطها هذا الطابع الحضاري البناء، فالسؤال الثالث هو إلى أي حد نملك الشجاعة الكافية لكي نغض طرفا عن بعض التفسيرات الدينية التي شاعت في عصور سابقة وكانت تلائم مرحلتها وتاريخها ووضع الإنسان حينها أنها أصبحت غير ملزمة لأبناء اليوم، وأصبحوا مطالبين لكي يعملوا فكرهم ووعيهم واجتهادهم لكي يؤولوها تأويلا آخر يتسق مع مصالحهم ويتسع لاحتضان مستقبلهم. تلك أسئلة ثلاثة أضعها أمام متحدثينا.

وأبدأ بواحد ربما لا أسرف في التوصيف كثيرا لو قلت أحد المسئولين الكبار عن خلق وتنمية التيار الديني الرشيد العقلاني المستنير في الإعلام المصري، فالأستاذ أحمد فراج ليس نجما إعلاميا فحسب، بل لعب عبر عدة عقود دور صناعة النجوم الفكرية والثقافية.

أحمد فراج:

بسم الله الرحمن الرحيم ... نحمد الله كما ينبغي أن يُحمد وأصلي وأسلم على سيدنا محمد ومن دعا بدعوته وجاهد جهاده إلى يوم الدين وبعد، لقد شغلني عنوان "القيم الدينية والمعاصَرة" شيئا من الوقت، لأنه في كثير من الأحيان تبدو لنا رؤوس الموضوعات وكأنها تقدم نوعا من التناقض بين طرفي المعادلة، وأنه عندما نقول القيم الدينية والمعاصَرة تطرح احتمالات لعدة أسئلة، فهل تصلح القيم الدينية لهذا الزمن المعاصر؟ هذا احتمال، والاحتمال الثاني هل هناك تناقض بين القيم الدينية وبين العصر؟، في نفس الوقت، هناك دوما منحى للحديث عن المعاصرة والحداثة والعصرية والعولمة حتى أنني شعرت في وقت من الأوقات أن كل شيء أصبح قابلا للعصرنة، فأصبحنا نقول "الدين والمعاصَرة" و"القيم والمعاصَرة" و"الدين والعلم" وهذه الكلمة الأخيرة عند بعض من يدققون في اللغة العربية ويعتبرون حرف الواو تفيد المغاير بمعنى أن ما قبلها يغاير ما بعدها، أي أن الدين غير العلم، وهذا التفسير يستقيم لغويا، لكن في واقع الأمر غالبا ما لا يكون مقصودا بذاته. على كل حال، لا أظن أن هناك مسافة كبيرة من التناقض أو حتى من المغايرة بين القيم الدينية والمعاصَرة، ولكن المطروح أجاب عنه الدكتور صلاح فضل فيما طرح من أسئلة وأظن أنها ليست ثلاثة أسئلة فقط ولكنها كثيرة تلهب عن قصد أو غير قصد وتستثير حماسنا عن موضوعنا الليلة الذي يتحدث عن قيم الدين والمعاصَرة.

أعتقد كمسلم أن مطلب الدين من الإنسان عامة مسلما كان أو غير مسلم ألا يكون حجر عثرة بينه وبين العلم أو بين التفكير، فبصرف النظر عن الاعتبارات الدينية المحضة يطلب الإنسان من الدين ألا يكون عائقا أمامه ولا أمام التفكير العلمي ولا أمام العقل، فإذا كان مطلب الدين من الإنسان ألا يكون عقبة أما العقل أو أمام العلم، فإننا نستطيع أن نقول لأول وهلة إن الدين الإسلامي ليس عقبة أمام العقل أو أمام العلم، بل إن الإسلام من رأسه إلى أخمصه دعوة ملحة للعلم في كل آفاقه وفي كل مجالاته ومظهره.

وكلنا يعلم أن أول ما نـــزل من وحي الله على هذه الأمة وعلى قلب محمد صلى الله عليه وسلم هي كلمة "اقرأ"، وكلنا يعلم أنه لم يكن بين يدي جبريل عليه السلام كتابا أو صفحة من كتاب ليقول للنبي اقرأ من هذه الصفحة، وكلنا يعرف قصة تكرار جبريل الكلمة على الرسول عليه الصلاة والسلام وفي كل مرة يكررها يشده إليه حتى يسأل الرسول عليه الصلاة والسلام عما يقرأه فيتـــنـــزل عليه القرآن الكريم بالآيات المنيرات: (اقرأ باسم ربك الذي خلق، خلق الإنسان من علق، اقرأ وربك الأكرم، الذي علم بالقلم، علم الإنسان ما لم يعلم)، وهناك كلمات كثيرة في هذه الآية مترادفات عن القراءة والعلم، لكن ما يجب أن يستلفت انتباهنا أن الأمر بالقراءة مرتبط بعدد من الأمور، أولا أن تكون هذه القراءة باسم الرب، ولا يمكن أن نتصور أن تكون القراءة باسم الرب التي هي دعوة للعلم أن تكون دعوة للتدمير، لأن التدمير لا يكون باسم الرب. وكونه يقول (باسم ربك الذي خلق)، فالمسألة ليست قراءة من كتاب أو من صحيفة ولكن دعوة وأمر لقراءة كل ما في هذا الكون من آيات دالة على خالقية الله سبحانه وتعالى، فهذه أمة (اقرأ) وعليها أمر بالقراءة في كل آيات الكون، أمر مفتوح لكي نقرأ في كل آية في الكون خلقها الله من الذرة والخلية الأولى والمنيّ وعملية الخلق الأولى وكل ما يحيط بنا في الكون من أسرار، فهي دعوة لكي نقرأ كل ما نشاهده في الكون والذي هو جملة وتفصيلا دليل على أن الله هو الذي خلق. ودعوة العلم في هذه الآيات (علم الإنسان ما لم يعلم) تتصل بأول قسم تـــنـــزل في سورة أخرى في القرآن الكريم (نون والقلم وما يسطرون)، فالأمر بالقراءة أن تكون لصالح البشرية، وأن يكون العلم باسم الربوبية وليس باسم الهيمنة ولا التدمير كما نرى العلم في زماننا هذا والذي تمتلك فيه بعض الدول من الأسلحة ما يكفي لتدمير الكرة الأرضية خمس مرات إذا استعملت، فليس الأمر بالقراءة أو بالعلم إلا محصورا في دائرة الخالقية، وأن تكون قراءة نافعة للإنسان في حياته وفي كل ما يحيط به من أمور.

إذن، فمطلب الإنسان من الدين ومن قيمه ليس أن يكون عقبة تحول بينه وبين العلم، ودليل ذلك أن أول أمر هو بالقراءة وأول قسم بالقلم، فهي دعوة لكي يرتاد الإنسان الكون بالعلم. ومادة (علم) في القرآن موجودة بكثرة شديدة، ولا يفوقها في كثرتها سوى مادة (عمل)، فالعلم والعمل مذكوران في القرآن الكريم أكثر من تسعمائة مرة. وإذا كان الأمر كذلك، فهل فهم المسلمون الأوائل هذه الحقيقة؟ والإجابة هي أن حياة الأمة الإسلامية في بدايتها قامت على العلم والإيمان، فالعلم يفجر طاقات الإيمان في الإنسان كي يرتاد ويكتشف كل مجالات الكون ليصنع في هذه الحياة مجالا حيويا يعيش فيه وفق مجموعة من القيم والأنساق الاجتماعية والأخلاقية التي أرجو أن نلمح لبعضها. واليوم، نحن نتحدث عن المعاصرة والحداثة نقول إن هذه الحداثة أو هذه المعاصِرة تعني علاقة وثيقة بين الإيمان وبين التراث وبين ما نحن فيه، فلا يوجد في تصوري

مشروع حضاري إلا إذا قام على مشروعية أو على الأقل ادعى هذه المشروعية التي تقوم على التراث والمعاصَرة، أما إذا قام على احتقار أحدهما، فلن يستقيم هذا المشروع الحضاري، إذا قام على تقديس واحدة دون الأخرى، فلن تكون له قائمة، ولن نستطيع أن نتصور الماضي باعتباره منظومة مقدسة غير قابلة للمساس بها، وينطبق الأمر نفسه على المعاصَرة وعلى القيم، فكل شيء له وجهان: الخير والشر، لكن لو قلنا أن الماضي كله خير فنكون بهذا الأمر نغمض أعيننا عن أخطاء البشرية التي عاشت معهم وعاشوا معها في الماضي، وإذا كنا سنقول أن التطور كله خير وليس به شر فسنكون أيضا بصدد إغماض أعيننا عن كثير مما نراه من المآسي التي يشهدها هذا العصر الذي نعيش فيه. وإذا كنا نقول أنه لابد من منظومة تجمع بين خير ما في الماضي وخير ما نحياه في الحاضر، فنحن نترجم حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم : "الحكمة ضالة المؤمن، أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها"، فلابد أن يكون بها آثار من الماضي بخيره وآثار من الحاضر بخيره وكذلك القيم والمنظومة الأخلاقية لابد وأن نعيش ونحن مؤمنون أن لها عطاءها الموصول بحياتنا، ولنا أن نقبل منها ما يتفق مع ثوابت القيم، ونرفض ما يتعارض مع هذه الثوابت، وبعض أصحاب الرؤى الحضاري يكون لديهم نوع من الاصطفاء لما يمكن أن نتقبله من التراث، لأن التراث به الكثير من النقاط المضيئة والكثير من الجوانب البعيدة عن التزمت، ويبدو مظهرنا أننا نحاول أن نقيم منظومة متكاملة من التراث ومن الحضارة، لكن في الوقت نفسه الذي نسلِّم فيه بخير في التراث نريد أن نهدم جوهر هذا التراث بأن نصطفي أشياء قد تؤدي إلى هدم الثوابت في قيم الدين نفسها.

وهناك من ينظرون إلى المسائل بمنظور مختلف، لكن، بعض من أشرت إليهم ممن يرون في التراث ما يمكن أن يُنتقى أو يُصطفى بحيث لا تكون المسألة اصطفاء لخير ما في التراث، إنما الظاهر أنه هذا الادعاء لكن الباطن هو ضرب الثوابت الموجودة، بحيث نصل كما وصلنا فعلا إلى أن يحتفل بعض مثقفينا بذكرى مرور مائتي عام على غزو نابليون بونابرت إلى مصر! وبهذا يظنون أنهم ينفتحون على العالم وأنهم متمدنون، ثم يفاجئون بأن الأمة كلها بكل عناصرها تغضب لهذا التوجه، ولا تقبل أن تحتفل أمة مصرية بكل عناصرها ومقوماتها وزادها وتراثها الحضاري أن تحتفل بغزو نابليون لها، ويؤدي ذلك إلى أن يتغير مسمى الاحتفالية لتصبح الاحتفال ببداية اتصال مصر بفرنسا، وهو تعديل المقصود به أن الأمة شعرت بالخطر وتهددت ثوابتها وما تؤمن به من قيم. وقد وصل ببعض المدعين للحداثة أن اعتبروا أن القيم والأسرة والدين والوطن قيم تحتاج إلى كنس، ويقول بعض فلاسفتهم أن الوطن والعائلة والأخلاق والفن والدين والحرية والأخوة كانت تُعتبر قديما جوابا للحاجات الإنسانية، وفي يومنا هذا لم يبقَ منها إلا هيكل عظمي من الاتفاقات والاعتبارات، ويقول أحد الفلاسفة من زعماء الحداثة: "عمل تهديمي كبير ينبغي أن يتم، لابد من الكنس والتنظيف!". وليس هذا ما ينبغي أن نقوله في الحداثة، فنحن نؤمن بالحداثة بخير ما فيها، وبخير ما في التراث بحيث يكون هناك مشروع حضاري يجمع بين الخيرين خير ما في التراث وخير ما في هذا العصر من قيم.

ولنتحدث مباشرة عن القيم الدينية والمعاصَرة، لا أريد أن أتناقض مع ما ذكرته في البداية من أن هذا القول يجعلنا نضع القيم الدينية في ناحية والمعاصَرة في ناحية أخرى، وكأن قيم الدين وما تمثله هذه القيم شيء يناقض أو يخالف المعاصَرة. وبعبارة أخرى، لو أننا ذكرنا بعض القيم الدينية التي يمكن أن نتمثلها في حياتنا، ولنرى ما إذا كانت تتماشى مع المعاصرة، أو بعبارة أخرى، هل المعاصَرة لا يعجبها هذا الكلام؟ هل ترفض المعاصَرة وجود هذه القيم في حياتنا أم لا؟

أريد أن أقرر في البداية أن الإسلام يقوم على التوحيد، وقيامه على شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله تعني قمة الحرية، لأن التوحيد لا يجعل سلطانًا لأي أحد على قلبك ولا عقلك ولا فكرك ولا ضميرك إلا سلطان الله الواحد. وأعتقد أنه عندما يصل الإنسان إلى هذه الحقيقة، يكون حرا. ولذلك، فإنني أعتبر أن الحرية الناجمة القائمة عن التوحيد ليست مفهوما سياسيا ولكنها مفهوم عقائدي، فهي الوجه الآخر للعقيدة، فالحرية في النظرة الإسلامية هي الوجه الآخر للعقيدة، والحرية في العالم اليوم جزء لا يجزأ من النظام السياسي في العالم كله، فهي شيء أساسي في حياة الأمم والشعوب، وبغير الحرية لا حضارة ولا تقدم ولا إنسانية ولا أي شيء، فالحرية هي أساس كل عمل وكل حياة مستقيمة في حياة البشرية، لذلك، فكل النظم وكل الديمقراطيات في العالم تؤكد على الحرية بأبعادها المعروفة، مثل حقوق الإنسان وحق التعبير وحق المساواة وحرية الاعتقاد. كل هذه الحريات ركزها الإسلام في أن تكون الوجه الآخر للعقيدة، فقد رفع الإسلام من شأن الحرية وجعلها جزءًا من العقيدة وليست جزءًا من النظام السياسي، فمن الممكن أن يتطور النظام السياسي ويتغير، لكن أن تكون الحرية هي الوجه الآخر للعقيدة فهذا أمر غير قابل للعبث به. والسؤال هو هل أصبح التوحيد في حياتنا كلمة لا علاقة لها بالواقع؟ وهل يؤدي ذلك إلى فصل الدين عن الحياة؟ أم أن ذلك قد حدث بالفعل؟ هل العبادة في المفهوم الإسلامي هي الشعائر من صلاة وصوم وزكاة وحج، أم أن الإسلام قد أحال الحياة كلها أمام المسلم إلى محراب كبير يتعبد الإنسان فيه إلى الله بكل عمل يعمله شريطة أن يكون هذا العمل مقصود به وجه الله؟ وأذكر مثالا عندما رأى بعض الناس شابا يافعا صحيحا عظيم الجسم سائرا أمام النبي عليه الصلاة والسلام فقالوا له: "أرأيت لو أن ذلك كان في سبيل الله؟" بمعنى أن تكون هذه الصحة ويكون هذا الشباب في سبيل الله، فرد عليه الصلاة والسلام: "لو كان خرج يسعى على أبوين شيخين فهو في سبيل الله، ولو كان خرج يسعى على نفسه يعفها من السؤال فهو في سبيل الله، ولو كان خرج يسعى على أولاده صغارًا فهو في سبيل الله، ولو كان يسعى رياء ومفاخرة فهو في سبيل الشيطان"، إذن فقد تحولت الحياة إلى محراب. يقول عليه الصلاة والسلام: "من سلك طريقًا يلتمس فيه علما سهل الله له به طريقا إلى الجنة"، وأنا أؤمن أن الملائكة تحيط بنا ونحن جالسون في هذه القاعة لأن هذا مجلس من مجالس العلم نتقرب فيه إلى الله بالعلم ونتعبد لله بالعلم، إذن، فهذه منظومة متكاملة.

ولا ينفصل العلم عن العمل أبدا، وبالتالي لا ينفصل عن السلوك ولا عن المعاملة ولا عن العدل، وقد دُرِّب المسلمون الأوائل على هذه الحقيقة، وقد نرى من يتفوق في العلم والعمل ثم نرى في أسلوب حياته وفعله وتعامله شيئا مغايرا، وقد كان المسلمون الأوائل يقولون: "كنا نتعلم العشر آيات بالعشر آيات فلا نتجاوزهن حتى نحفظهن ونعلمهن ونعمل بما فيهن، فكنا نتعلم العلم والعمل جميعا"، بمعنى أن القرآن لم يكن

منفصلا بتفسيراته عن العمل في الدنيا، فقد كانت حياة هؤلاء عملاً حقيقيًّا، فلا مكان للازدواجية الأخلاقية في الإسلام، ولا ينبغي أن نعرفها حتى لو وجدناها لأنكرناها سواء كانت قديمة أو معاصرة.

ومن واقع مشكلاتنا، لدينا حالة انبهار بما هو موجود في الغرب وما به من المعاصَرة، وهذا هو أحد الأدوار السلبية للإعلام والذي فتح قنوات فضائيات عظيمة نرى بها كل ما يدور في العالم من ثقافات متباينة ومتناقضة ومعادية أيضا، فنحن إذن نرى أشياء ننفتح عليها رضينا أم لم نرضَ، فقد اقتحمت الفضائيات منازلنا، ولم يعد هناك مجال للعزل، وعندما كنت أعمل في الإذاعة قديما أيام الرئيس جمال عبد الناصر، كنت أعاصر خلافاتنا مع إحدى البلدان مثلا، فينجم عنها أن نقوم بتسليط محطات للتشويش فلا نسمع ما تقوله إذاعاتها. أما الآن، فقد اختلف الأمر اختلافا تاما. ونحن نرى الكثير مما ننكره على الفضائيات المختلفة، ونرى الكثير من الأشياء البعيدة عن الأخلاق التي نرفضها في البداية ثم قد تجذبنا هذه الفضائيات فضولا، ومع الوقت نتعود على التلقي منها، فإذا غابت افتقدناها، وهذه القيم أصبحت تغزونا في عقر دارنا وهي من سلبيات المعاصَرة، إلا أن هناك أيضا الكثير من الإيجابيات في المعاصَرة، وأذكر أن هناك العديد من العلماء قد هربوا من روسيا بعد أفول نجم الكتلة الشرقية، فدعتهم إسرائيل واستولت عليهم وأخذت مصر الراقصات!! وكانوا من خيرة علماء الذرة والصواريخ وغيرها من المجالات الهامة والحساسة، ثم نأتي نحن في مصر لندخل في أي مطعم أو فندق فنجد راقصة روسية! هذا هو ما نأخذه من الحضارة، وفي روسيا لا يعيشون بالراقصات، ولكن هذا جزء من حضارتهم وثقافتهم، إذن، فليس خطؤهم أننا لم نأخذ منهم إلا هذا ولكنه خطؤنا نحن في عملية الانتقاء والاصطفاء، كما أننا نتجاهل قيمهم في العلم والعمل والانضباط، فلماذا لا نأخذ هذه القيم الإيجابية التي تثري الحياة، وتدفع إلى الخير في كل مظاهرها. وعندما نقول أننا نأخذ العلم من الغرب، فهذه بضاعتنا قد رُدَّت إلينا، لأن فضل العرب والمسلمين على حضارة الغرب فضل غير منكور، وعندما دخل الإسلام إلى كثير من الدول وانضوى تحت لوائه الكثير من الشعوب من مسيحيين ويهود وهندوس وغيرهم، اندمجوا في هذا المجتمع وأعطوا كل ما عندهم دون تحفظ، لأنه في ظل المنظومة الإسلامية الصحيحة، يشعر كل شخص أنه منتمٍ إلى هذه الدولة، فلا تفرق بين مواطن وآخر، وقد استطاعت كل الشعوب التي دخلت تحت لواء الدولة الإسلامية أن تثري الحضارة الإسلامية بالكثير والكثير، والأمثلة على ذلك كثيرة تتلخص في أن الحضارة العربية الإسلامية انتشلت أوروبا من ظلمات وجهالات القرون الوسطى، والتي عادت أوروبا لتشرِّبنا إياها! وقد كانت القرون الوسطى أسوأ قرون الظلام في أوروبا، وعندنا كانت أزهى عصورنا التي نقلناها إلى أوروبا. والعجيب أن الاتهام الآن من هؤلاء أن العودة إلى الإسلام يعني العودة إلى القرون الوسطى، وأقول إن القرون الوسطى أوروبية وليست إسلامية، بل إن المسلمين هم الذين أخرجوا أوروبا من عوار الجهل في القرون الوسطى، ولم تنشغل الأمة الإسلامية في هذا الوقت بأن تكشف الجهل والظلام في الغرب، ولكن انشغلت بأن تقدم له العلم والمستشفيات والعلماء والطبيعة والكيمياء والجغرافيا وكل الصور الحضارية التي نعرف فضل العرب عليهم فيها، وبالطبع، فإن المغلوب لا يحب أن يعترف بفضل الغالب، لكن بعد أن تستقر الأمور، نجد من هم أمثال جوستاف لوبون الذي قال

"Ce sont les Arabes qui ont civilisé l'Europe" أو "هؤلاء هم العرب الذين مدَّنوا أوروبا"، وكان هذا اعترافا، ثم يأتي كاتب آخر هو سيديو والذي قال إنه مهما حاول الغرب أن ينكر فضل العرب على الحضارة فلن يستطيع أن ينتزع بصماتهم من فوق قبة السماء، وكان يقصد أن كل أسماء النجوم والكواكب والمجرات تقريبا عربية، مثل نجوم الطير والمذنب وغيرها من عشرات الأمثلة، ويأتي المؤرخ الكبير جورج سارتون ليقول إنه لولا العرب لتأخرت الحضارة على البشرية بضعة قرون.

إذن، فإن العلم والعمل والقيم العلمية هي نتاج الحضارة العربية الإسلامية التي مدنت أوروبا، لكن لا ينبغي أن يكون موقفنا دائما هو موقف المحتـــر الذي لا يفعل سوى تذكر أمجاد الماضي، ونظل نذكر أنفسنا بأن المسلمين هم الذين اخترعوا الجبر وهم الذين علموا أوروبا الطب وغير ذلك من العلوم التي انفتح عليها المسلمون دون أن يجدوا حرجا في أن يتحدثوا عن أفلاطون وأرسطو ملقبين إياهما بالمعلم أو بالأستاذ، أما فيما بعد فقد انتحل الغرب ما قدمه الإسلام ونسبوا هذه العلوم إلى أنفسهم.

ومن القيم الكثيرة التي عاشت بها الأمة الإسلامية قيم العدل والعلم والحرية، ووجود تطبيقات في عصور متفرقة جعلت هذه القيم تتراجع لا نأخذه على الدين ولكن نأخذه على أتباع هذا الدين، فنحن لا نعرف الحق بالرجال ولكن نعرف الرجال بالحق، فلا يمكن أن ندين الإسلام مثلا لأننا رأينا مسلما سكيرا أو فاسدا، ولكن بموقعنا نحن وموقفنا من هذه القيم الإسلامية. وحول قيمة العدل، فقد أتى كل الرسل لإقامة العدل بين الناس، وفي القرآن الكريم (كونوا قوامين بالقسط شهداء لله ولو على أنفسكم والوالدين والأقربين)، وكان الرومان قد اعتنقوا المسيحية ومع ذلك كانوا يقتلون الأقباط ومنهم كان الشهيد العظيم مار جرجس، كانوا يستخدمون السياط في ضرب الأقباط، وهنا أتذكر موقف المسلم الذي تجرأ وضرب قبطيا بعصا، وكان هذا المسلم الشاب هو ابن عمرو بن العاص الحاكم على مصر، فقد تسابق كلاهما – المسلم والقبطي – وعندما سبقه القبطي غضب وقال له: "كيف تسبقني وأنا ابن الأكرمين؟" ثم ضربه بالعصا، وليس هذا تحديدا هو المهم، ولكن المهم هو الذي جعل هذا القبطي يسافر إلى المدينة ليشكو إلى الخليفة عمر بن الخطاب وهو يقينه بالعدل، فلو لم يكن موقنا بالعدل لما سافر، لكنه سافر لأنه كان متأكدا أن هناك عدلا يشمل كل المواطنين بلا تفرقة. أيضا، نحن نعرف أن المدينة مثل مكة حرم مقدس، ولا يجوز لغير المسلمين أن يدخلوا هذا الحرم، فكيف يُرفع هذا الحظر الديني بأمر من الخليفة لكي يُسمح لهذا القبطي بأن يأتي ويقابل أمير المؤمنين لأن ظلما وقع؟ وروى القبطي إلى الخليفة ما حدث فاستدعى عمر بن الخطاب كلاً من عمرو بن العاص وابنه، وعندما حضروا إلى المدينة طلب الخليفة من الشاب القبطي أن يضرب "ابن الأكرمين" بعصا، وبعد أن ضربه طلب منه أن يمرر نفس العصا على "صلعة أبيه"، لأنه عرف أن ابن عمرو بن العاص لم يفعل ذلك إلا بسلطان أبيه، فرفض القبطي وأعلن أنه قد أخذ حقه بالفعل وشكره. هذه القصة لها مدلولات ومعانٍ كثيرة، أولها الإيمان بأن هناك عدلاً لأنه لولا يقينه بالعدل ما ارتحل هذا السفر الطويل، ثانيا أنه يعلم أن هناك جدارًا لا يجوز لأحد أن يتجاوزه حول المدينة المنورة، ومع ذلك تم رفعها لرد مظلمة وقعت على أحد رعايا الدولة الإسلامية مسلمًا كان أو غير مسلم، ثالثا، ينصف الخليفة الشاب القبطي ويطلب أيضا أن يعاقب الأب لأن الشاب المسلم ارتكب هذه المعصية بسلطان أبيه، ونحن نرى سلبيات ذلك في حياتنا المعاصرة للأسف، فأول جملة

تُقال "ألا تعرف أنا ابن من؟". ويقول أمير المؤمنين عمر بن الخطاب كلمته الخالدة التي قرأناها بعد ذلك في القرن العشرين في الإعلان العالمي لحقوق الإنسان عام 1948: "متى استعبدتم الناس وقد ولدتهم أمهاتهم أحرارا".

ويعد الوفاء بالعهود والمواثيق أحد القيم الدينية التي نرى في عصرنا هذا أن الدول الكبرى توقع اتفاقات ومعاهدات، وعندما تجد أية فرصة للانسحاب تنتهزها حتى في اتفاقية مثل اتفاقية كيوتو لحماية البيئة، والذي سحبت الولايات المتحدة الأمريكية منها توقيعها بعد أن كانت قد وقعتها، حتى إنشاء المحكمة الجنائية الدولية للجرائم تم سحبه، وتقام اتفاقيات مع دول كثيرة من المجتمع الدولي ومن الدول التي تنتسب إلى الأمم المتحدة حتى تُعقد اتفاقات تقيد سلطات الدول في تقديم رعايا الولايات المتحدة على المحكمة حال ارتكابهم أي أخطاء.

وأتساءل أين يقع الاهتمام في الإسلام بالقيم الاجتماعية، وسأعطي مثالا لذلك (أرأيت الذي يكذِّب بالدين، فذلك الذي يدع اليتيم، ولا يحض على طعام المسكين، فويل للمصلين، الذين هم عن صلاتهم ساهون، الذين هم يراؤون، ويمنعون الماعون)، ونلاحظ أن الآيات الكريمة بدأت بالتكذيب بالدين الذي هو كفر بيـــِّن، ويليه الذي يزجر اليتيم ولا يحض على طعام المسكين، والسؤال هو هل زجر اليتيم وإهمال المسكين كفر بذاته أم يا ترى المقصود أن المؤمن لا يمكن أن يصل إلى هذه الدرجة؟ إن الربط بين الآيات والقيم العليا في الدين وبين الأخلاق والسلوك والاجتماعي في المجتمع والقيم النبيلة التي يجب أن تسود هو خير مثال لعلو مكانة المنظومة الأخلاقية في الدين. وتفضح هذه الآية المتظاهرين بالتدين، وتدين الرياء في ممارسة الدين الذي هو دليل الخراب النفسي والظلام الباطني، لأنه إذا لم يمتد هذا النور الناشئ من أدائنا للعبادة ومن إيماننا بالله إلى رعاية الصغير ورعاية المسكين الذين هم في الأصل من الضعفاء، إذن، فإيماننا محل نظر. والارتباط بين العقيدة السليمة والواجبات الاجتماعية والمشروعة والتراحم الاجتماعي أساس تقويم الإنسان في هذا المجتمع الإسلامي.

مثال آخر، ما هي حيثيات الحكم على من كانت النار مصيره؟ تقول الآية الكريمة (خذوه فغلوه، ثم الجحيم صلُّوه، إنه كان لا يؤمن بالله العظيم، ولا يحض على طعام المسكين)، إذن، عِظم الجريمة يتضح عندما يُقرن الكفر بالله بهذه الجريمة، مما يدفعنا لمعرفة هول جريمة عدم الحض على طعام المسكين، فهناك تكافل اجتماعي صميم وقيم اجتماعية صارمة، ولذلك، نفهم حديث الرسول عليه الصلاة والسلام: "من بات شبعانـــًا وجاره جائع وهو يعلم برئت منه ذمة الله ورسوله"، إذن، هناك مطاردة حتى ونحن في فراشنا عندما ننام إذا كنا نعلم بوجود جار جائع لنا دون أن نطعمه أو نساعده، فهذا وجه من وجوه التكافل الاجتماعي والتي لابد وأن تكون المعاصَرة مبنية أيضا عليها لأنها قيم الأصالة وقيم الثبات.

صلاح فضل:

نشكر الأستاذ الفاضل أحمد فراج الذي أفاض علينا بنور علمه، فهو في الأساس صاحب نور على نور. الجولة الثانية من المنصة جولة خاصة ومميِّزة ومكافئة للجولة الأولى ومتممة لها، وتمضي معها على نفس الخط المستقيم الجميل، خط القيم الدينية ودورها في عصرنة وتحديث وتنمية وتطوير مجتمعاتنا، يقدمها لنا رجل بدأ حياته بهندسة المادة والعمارة، ثم لم يلبث أن تحول إلى هندسة الروح والفكر، بدوره هو رجل إعلامي من هذا النوع من الإعلام الذي لا يريد أن يكون موجَّها، ولكنه يريد أن يكون حرا في توجيهه وحرا في ترشيده، الأستاذ يوسف سيدهم تعرفونه، وتعرفون خبرته الطويلة التي انتقل فيها من الهندسة إلى الصحافة وعمل فيها في جريدة "وطني" حتى أصبح منذ سبعة أعوام رئيسًا لتحريرها، يلتقط بهذا الحس الإعلامي الذي يقع في قلب المعاصَرة ويوظف طبقا لها الشعور الديني والقيم الدينية لكي يبعث فيها الحياة ويجعلها دافعا للنهضة والتقدم خاصة وهو يعمل في ظل هذه الكلمة الجميلة التي تجمعنا كلنا تحت مظلتها في إخاء ومحبة وهي كلمة الوطن.

يوسف سيدهم:

اليوم هو اللقاء الأول لي في مكتبة الإسكندرية، وأسجل إحساسي بالشرف العميق لوجودي في هذا المكان الذي أثبت أنه منارة للفكر، وهو ما كان مقصودا من البداية من بعث منارة الفكر التي اشتهرت بها مكتبة الإسكندرية مرة أخرى، وأنا منبهر مرتين من هذا المكان، فأنا مبهور به أولا كمهندس وثانيا بالرسالة التنويرية التي يقوم بها.

عندما نتحدث عن الأزمة الموجودة بين الدين والعلم، أتصور أننا نقف في مواجهة لم نتعود أن تفرض نفسها علينا. وفي بلادنا ومجتمعاتنا، كنا دوما نتجاوز منطقة المواجهة التي لم نكن نجد فيها صراعا في البداية، إذن، فهذه حالة مستجدة وليست حالة ضرورية وكأن هناك صراعا بين الدين والعلم أو بين الأصالة المعاصرة. وقد كنا ننظر إلى هذه الأمور بأن هناك وعاء من منظومة الإيمان والقيم والمُثل والثقافة تنصهر فيه كل المستجدات والتي نطلق عليها اليوم الحداثة أو التقدم العلمي، وكان هناك نوع من القبول الطبيعي لما يستجد علينا وتقدير وترحيب بأشكال هذا التقدم، و لم نكن نجد أبدا أنها تهدد المعتقد ولا الثقافة أو الهوية. ولذلك، فما زلت أنظر إليها على أنها حالة مستجدة بعد أن كان الدين يسكن قلب ووجدان وضمير الإنسان المصري، وبعد أن كان يغرس الفضائل ويرسم طريق الصلاح، بدأنا نضعه في مواجهة العلم ونتصور أنه خير وبالتالي فإن هذه المواجهة تضع العلم في منطقة الشر. وأتصور أن شعبنا نشأ على ما يغرسه الدين من محبة وصدق وإخلاص وأمانة وتقديس للعمل، ويعلمنا الدين كيف نتصالح مع الله، ولكي يتحقق ذلك لابد أن نرسم طريق لكيفية أن يتصالح كل منا مع نفسه، وهذه مسألة لا يتوقف أمامها الكثيرون ليتأملوها، فلا يمكن أن يكون الشخص متصالحًا مع الآخرين قبل أن يكون متصالحًا مع نفسه، ومحصلة المصالحة مع النفس وما ينتج عنها من المصالحة مع الآخرين، هي التي تؤدي إلى المصالحة، ونحن نؤمن بأن قصد الله في الإنسان أن

يتصالح معه، ونؤمن بأن الله خلق الإنسان على شاكلته وأن قصد الله هو سعادة الإنسان، وأنه لابد أن يتطلع الإنسان إلى آخرته وأن يعمل من أجلها. وكل هذه الأمور كانت موجودة بشكل طبيعي وغير مفتعلة في وجداننا وقلوبنا، وكانت تعطينا أحاسيس بالقناعة والرضا والسعادة في التواصل بين بعضنا البعض وفي اختلاطنا الطبيعي في الحياة اليومية، وكان يؤدي ذلك بنا إلى أن نجتهد للغاية للتفتيش عن مساحات الاتفاق، وكنا أقل ميلا عن البحث عن مناطق الاختلاف، فلم نكن ننتبه إلى إن هناك شيئا اسمه مناطق الاختلاف، و لم نكن نفزع من أي شكل من أشكل الاختلاف، بل كنا نقبله متأكدين أنه شيء طبيعي لا نتوقف عنده، وتجمعنا مناطق كثيرة من الاتفاق، و لم نكن نعرف هذا التعبير الذي نضطر اليوم الاستنجاد به وهو تعبـــير "قبول الآخر"، فهناك من يقف ويحتج متسائلا "من المقصود بالآخر؟" وهذا سؤال في محله، فقبول الآخر تعبير نستنجد به لمعالجة حالة مستجدة ووقتية طارئة، فلم يكن هناك إحساس بوجود آخر، وكان القبول بديهيا، فلم نكن نحتاج إلى أن ندعو إلى قبول الآخر.

ولذلك، تؤدي مساحات الاتفاق إلى التواصل وإلى التآلف، في الوقت الذي تؤدي فيه مساحات الاختلاف إلى أن يبتعد كل شخص عن منطقة الاتفاق مما يجعلها تؤدي إلى شقاق. ومن هنا، عاش المصريون قرونا طويلة هادئين هانئين ببعضهم البعض، ولا أتحدث هنا عن تعرضهم لمتاعب على مستوى الحكم أو على مستوى الكفاح في الحياة، لكن، كانت علاقاتهم البينية هادئة وهانئة، فكانوا يسعدون معا ويشقون معا، وكان الإنسان المصري في هذا الوادي السهل المنبسط مستقرًّا وهانئـــًا، وفي هذا الوقت، لم يكن أحد أن يتحدث عن أية تعبيرات من أي نوع، ومثلا لم يكن أحد في هذا الوقت يردد مصطلح "المواطنة"، أما اليوم فنحن نحتاج إلى صك هذا التعبير حتى نستخدمه على الرغم من أنه ليس جديدا، فقد كانت المواطنة موجودة في مصر ممثَّلة في كل القيم وفي منظومة العلاقات الإنسانية التي أتحدث عنها. كانت تصل منطقة الاتفاق ومنطقة المصالحة إلى أن يعتز كل منا بمعتقد الآخر وأن يعيش هذا المعتقد، لأن المعتقد كان يفرز مظاهر ومناسبات وسلوكيات، و لم تكن هذه المحصِّلة ولا هذا الرصيد الثري مقصورا على جانب دون الآخر، وقد سمعنا كثيرا أن جزءًا لا يُستهان به من المظاهر والعادات والسلوكيات التي يفرزها المعتقد ومناسباته تحولت إلى جزء من الحياة الاجتماعية الراسخة في قلوب ووجدان المصريين بغض النظر عن المعتقد الذي يتبعه كل منهم. بالتالي، وإذا كان هذا الرصيد هو الذي يغلف حياة المصريين، كانوا باستمرار يلبسون درعا يشير إلى أن الدين منطقة آمنة وليست منطقة خطيرة أو منطقة تصادم، وهذا جزء هام للغاية في حديثنا عن الصراع بين الدين والحداثة أو المعاصَرة. وفي يقيني وقناعتي أنه لا يوجد صراع بين الدين والحداثة أو المعاصَرة، ولكن الصراع الدائر هو بين منطقة الاتفاق ومنطقة الاختلاف.

إننا نحتاج إلى قراءة الدين بقدر كبير من الإيمان، وقد خاض الكثيرون منا في المرحلة الأخيرة مغبة قراءة الدين بدون الإيمان. وأعرف أننا لو قرأنا الدين بدون الإيمان فسوف نصطدم بأشياء كثيرة، فلو قرأنا الدين بتربص فربما وجدنا ما يُفزعنا فيه، وسنجد حتما ما نستطيع أن نقف أمامه لنوجه سهامنا ونقدنا، ويعيدني هذا الكلام إلى ما قلته في البداية إلى أنه لم يكن أبدا المقصود من دعوة الله للإنسان للصلاح والمصالحة أن

يفتش في الأديان وهو متخلٍّ عن درع الإيمان، ومن المهم أن نقرأ الدين بالإيمان لأنه سوف يساعدنا على تحقيق قصد الله من دعوة المعتقد فينا. ويجعلنا هذا الحديث نفكر، كيف نخرج من المنطقة التي استُدرجنا إليها ونعاني منها الآن، وهناك عملية مواجهة شرسة يقودها بعض ضعاف النفوس حتى يجعلوننا نشاهد على تصادم الأديان مع بعضها البعض، ولا يجب أن نقبل أن نُستدرج وراء هذا، فلابد أن نفرز ضعاف النفوس ونقوم بإخراجهم من مجتمعاتنا بدلا من أن يسحبوننا هم ويجعلون الدين يفرز ضغائن بيننا ويفصلنا عن بعضنا البعض.

ومع كل تقديري للقصد من هذا المنتدى، وأنا لا يوجد عندي مشكلة في صراع الدين والعلم أو في صراع الدين أو المعاصرة أو الحداثة أو العولمة أو التقدم، لأنني عندما أنظر للزمن الجميل، أجد أن الإنسان المصري الأبسط بين الكثير من الموجودين بيننا اليوم والأقل علما وثقافة، الإنسان المصري الذي يعيش على فطرته استطاع بقلبه وبسمو المعتقدات في وجدانه أن يسمو، و لم يستطع هذا الصراع أن يعطله ولا أن يعرقله عن المضي في حياته والتواصل مع جاره والعمل على تحقيق قصد الله بشكل غير مباشر. إذن، نحن نقف لنقول إننا يجب أن ننفض أيدينا من المعركة الحقيقية، ولابد أن نعرف الصراع الحقيقي الدائر، والسؤال هو كيف يمكن أن نعيد هذا التواصل إذا كانت هناك منطقة خلاف انسحب إليها كل منَّا نتيجة أسباب كثيرة عشناها. ومن المهم أن نبلور إحياء العيش المشترك والذي سيجعلنا بشكل سلس وسهل نتجاوز الصراع الذي نتحدث عنه بين منظومة الدين ومنظومة التقدم. وما اختفى من حياتنا ليس هجوم العلم علينا وليس هو السبب في اختفاء شيء عزيز من قلوبنا هو الإيمان، فنحن نتسلح بالإيمان، ونستطيع أن نستفيد من ما يليق بنا من التقدم العلمي والحداثة، ولنا كل الحرية في اختيار ما يناسبنا وعدم قبول ما لا يناسبنا، إذن، فالمعركة ليست مطلقة، وليس مجرد الارتباط العنيد بالقديم هو الحماية ضد الحديث، فقد تعودنا أن نأخذ ما يناسبنا، وألا نضحي بهويتنا الثقافية ولا بمعتقدنا ولا بمُثلنا، لكننا نحتاج أن نقترب إلى بعضنا البعض، ونحتاج أن نؤكد بكل جهد وبكل قوة عن كيف نحيي الزمن الجميل وكيف نحيي مظاهر العيش المشترك حتى نستطيع أن ننتقل من مناطق الاختلاف إلى مناطق الاتفاق، ومنطقة الاتفاق هذه التي نبحث عنها اليوم ونطلق عليها اسم معايير المواطنة، وهناك من يعتبرون أن معايير المواطنة هي الخروج على الأديان، وهناك من يتحدث عن أن الدولة المدنية تختلف عن الدولة الدينية، وهنا توجد منطقة مواجهة غير عادلة، وعندما ننتقل إلى منطقة الاتفاق نستطيع أن نؤكد ونرسخ معايير المواطنة، ولا نستطيع أن نترك عقائدنا في مناطق الاختلاف حتى نقول إن المواطنة تضحية بالأديان، بل إننا نتعامل مع معتقدنا الديني مثلما تعامل معه أجدادنا في الزمن الجميل حيث المعتقد محله القلب، ونتواصل ونتعايش سويا، ومن هنا نرسخ المواطنة والمحبة بيننا.

صلاح فضل:

أوجز الأستاذ يوسف سيدهم حديثه مرتكزا على المدخل الإيماني ذاته الذي وظفه الأستاذ أحمد فراج ومتجاوزا إشكاليات ما يمكن أن يقوم من تناقض بين الدين والمعاصَرة من سوء للفهم كما رأيتم، وركز على هذه الدعوة للمحبة والتعايش وتجاوز مناطق الخلاف.

كمال إسحاق (مهندس استشاري):

لقد انبهرنا بالمعلومات التي ذكرها الأستاذ أحمد فراج، وقد تحدث عن قيمة العدل والتكافل الاجتماعي في الإسلام، وتحدث عن العدل بين الأقباط والمسلمين في العصور السابقة، وأعطانا مثالا عن القبطي الذي سبق المسلم ابن حاكم مصر، وعلى ضوء هذه القصة التي تعكس العدل في الحكم، نرجو من الأستاذ أحمد فراج أن يحدثنا عن العدل هذه الأيام بين المسلمين والأقباط، وهل هو مطبَّق بالفعل الآن؟ أرى أن الأقباط في مصر لديهم متاعب وهموم كثيرة من أمثلتها التعيين في الوظائف في الجامعات، في بناء الكنائس ودور العبادة، في حقوق المواطنة وغيرها، فهل يمكن للأستاذ أحمد فراج أن يطمئننا نحن الأقباط على ذلك؟

أيضا، نحن نسمع كلاما طيبا جدا، ونعقد المؤتمرات والندوات، ونتحدث ونتقابل معا في ود، لكن عند التطبيق والتنفيذ فإن النتيجة تكون لا شيء على الإطلاق، ونحن نقول عن أنفسنا أننا متدينون مع العلم أننا لا نحسن تطبيق هذا التدين. وفي الغرب، وصلوا في الطب إلى أعلى درجة، وحتى الآن لم نضع تشريعا واحدا في مسألة زرع الأعضاء، ولازلنا نتشاور في هذا الموضوع.

كذلك، تحدث الأستاذ أحمد فراج أن العرب والمسلمين هم سبب تقدم الحضارة الغربية، وأننا نأخذ ما سبق أن أعطيناه، إلا أنني أتساءل لماذا نُصاب بالحساسية عندما نحاول أن نأخذ الإيجابيات أو ما أشار إليه الأستاذ أحمد فراج من وجوب الانتقاء والاصطفاء من الأشياء الجيدة الجميلة في هذه المجتمعات.

عبد الفتاح متولي:

لا يستقيم الأمر إلا إذا استحضرنا العاقبة، ولا تعارض في تقدم العلم مع الدين، ولا يستقيم الأمر لأننا نريد أن نحكم بالشريعة الإسلامية، والآية صريحة "ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون" وتكرر الآية الكريمة بلفظتي "الفاسقون" والكافرون"، وأمثلة أخرى كثيرة من الآيات من تلك التي ذكرها الأستاذ أحمد فراج "ولا يحض على طعام المسكين" وكلمة "لا يحض" بها استحضار للعدالة الاجتماعية على الأرض، وأتساءل هل نحن نحكم بما أنزل الله في هذا الصدد؟

أيضا، نريد أن نعرف لماذا يوجد دائما استهزاء بهذا الشعب الذي ضحى والذي يعيش على أرض مصر التي ذكرت في القرآن ووطئها وشرفها الأنبياء، مصر التي بها خير أجناس الأرض، وشعبها الطيب الأصيل الذي ضحى بفلذات أكباده في حروب لنا وليس لنا فيها وما زال يضحي، وأتساءل أين هي العدالة الاجتماعية؟ وإذا كان المجلس الأعلى لحقوق الإنسان لم يتم تشكيله إلا منذ عامين تقريبا، وقد أصدر هذا

المجلس كتيبا يقول إن الأسرة المكونة من خمسة أفراد نصيب الفرد منها دولاران في اليوم الواحد أي ألف وثمانمائة دولار في العام الواحد وأنه على المواطن أن يستطيع أن يعيش وأن يتنفس ويرى وجه السماء وهو يتنسم عبير الحرية من خلال هذا الدخل؟!

إبراهيم عبد الشفيع:

"إنا أنزلنا إليك الكتاب بالحق لتحكم به بما أراك الله ولا تكن للخائنين خصيما"، ولا يوجد أجمل من هذا الكلام الذي أنزله الله على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، "والآية البديعة التي تقول: "يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا إن أكرمكم عند الله أتقاكم"، وهذه الآية تحديدا لا تحدد المسلم من المسيحي ولا من اليهودي، فالقاعدة هي التقوى، ولقد طلب القرآن الكريم من الرسول الكريم "وإن أحدا من المشركين استجارك فأجره"، أي أن القرآن طلب من الرسول الكريم أن يكون في عون الكافر إذا طُلب منه ذلك، ولا يوجد مثل أدل من ذلك للتعبير عن أن التقوى والأخلاق هما الأساس في الإسلام.

آمال ناصر (مهندسة ديكور):

أعتقد أن مسألة العلم والدين قضية مفتعلة، وسواءً كان الشخص مسيحيا أو مسلما فهو مُطالب بإقامة شعائر دينه، لكن بعد ذلك نتساوى جميعا في طلب العلم، ومطالبين جميعا بالعمل الجاد. ولا داعي لإثارة قضايا مثل زرع الأعضاء أو غيرها ونحن نعيش في مجتمع تتخطى نسبة الأمية فيه 60%، ويتخرج الطالب الجامعي دون أن يتقن حتى الكتابة والقراءة بلغته العربية، وعندنا مشكلات أخرى كثيرة، وأعتقد أن السبب في إلقاء الضوء على مشكلات ليست هامة هو الإعلام الذي يدعنا نتحدث طوال الوقت في موضوعات لن تساعدنا ولن تساعد بلادنا على النهوض، وأتساءل أين الأرضية العلمية التي ستساعد هذه البلاد على النهوض؟ ونحن نحب مكتبة الإسكندرية لأنها منحتنا الفرصة للاستكشاف والعلم وأعطت الفرصة لأولادنا ليمارسوا بأيديهم تجاربهم العلمية.

وأود أن أعلق على الزميل الذي ذكر عن العدل بين المسلم والقبطي، وأتساءل وأين هو العدل بين المسلم والمسلم؟ أتمنى لو نلقي بكل هذا الكلام وراء ظهورنا ونتحد ونبني بلادنا معا، والمطلوب ببساطة شديدة أن نُحدِّث أسلوب الخطاب الديني، مع النظر إلى ما تنتهجه دول العالم للسير في ركب التقدم، فقد تأخرنا كثيرا عنهم، ولا يتسع وقتنا لأن نغرق في هذا النوع من النقاش.

عبد المحسن كميل (أستاذ بكلية الزراعة – جامعة القاهرة):

أتمنى أن يكون منتدى الحوار على هيئة مائدة مستديرة يُدار فيها الحوار، لأن القضايا المثارة هامة. وسؤالي للأستاذ أحمد فراج الذي قدم علماء كثيرين في برنامجه القيم "نور على نور"، فأين هو مما نراه على

الفضائيات من برامج تركت الأصول وتعلقت بالفروع والقشور، وقد أصبحنا من جراء ذلك في مواجهة، وأتساءل هل هذا هو الدين؟ هل هذا هو الإصلاح؟ وأين القيم المنسية التي ذكرها الأستاذ أحمد فراج، وأؤكد أنه لا يوجد أي تطاحن بين العلم وبين الدين.

ويحضرني وقت أن قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه "فتبارك الله أحسن الخالقين"، فتنـــزلت الآية من فوق سبع سماوات بهذا النص تأكيدا لما قاله، هذا هو عمر بن الخطاب الذي ذهب إليه القبطي لينصفه على المسلم وأنصفه.

محمد حسن السقا (شيخ الزجالين):

أرجو تكرار هذه الندوة المفيدة علميا ودينيا.

صلاح فضل:

لا ينبغي طوال الوقت أن نتحدث عن ما نتمناه أن يحدث وما ينبغي أن يكون وما نحلم بتحقيقه، فالمهم في الموضوع هو كيف يتحقق ذلك؟ وهنا أتساءل ما إذا كانت القيم التي نتحدث عنها بكل هذه المعرفة متحققة في مجتمعاتنا؟ أم أنها أغانٍ وأمانٍ ننشدها؟ وأين العدل والحرية والإنتاج والعلم وغيرها؟ وأقصد ما هي أوضاع مجتمعاتنا وحركتها الثقافية والفكرية التي تجعل مثلها العليا في جانب وممارستها التطبيقية في جانب آخر، كيف نعقد القران السعيد بين ما نتصوره نموذجا مثاليا من قيم مستنبطة من الدين بشقيه، ومستنبطة من التجربة الحضارية بثرائها العظيم، وبين واقعنا المتردي المتخلف المختلف تماما عن هذا النموذج المضيء؟ فهذه هي المشكلة، وإذا كنا غير سعداء بأوضاعنا ولا يوجد بيننا خلاف في التغني بهذه القيم الجميلة والعظيمة من حب العلم وحب الحرية والإنتاج والإخاء والتسامح والمحبة، فأين الفعل الاجتماعي المباشر الذي نحياه؟ وهل يحقق هذه النماذج أو لا نحققها؟ أعتقد أننا نتفق على أنه لا يحققها، إذن، كيف يمكن أن ننفث إلى كيفيات تحقيق هذه النماذج؟

محمد عامر:

كنت أريد أن أسأل الأستاذ أحمد فراج عن الاستنساخ ونقل الأعضاء ومدى فائدته للبشرية.

أمير شوقي:

لماذا نقوم بإغراء الناس بالدين في أدائهم لأعمالهم؟ ولماذا لا نربيهم على قيمة العمل منذ الطفولة وفي المدارس؟ لماذا نلجأ دوما إلى الاستشهاد بآيات قرآنية ونصوص مقدسة لحث الناس على العمل بدلا من أن نزرع في نفوسهم قيمته المجردة منذ نعومة أظفارهم؟ يجب أن تتم التربية على أن هناك علما وعملا على أن يقتصر الدين لحصة الدين فقط.

محمد عبد الحميد (أستاذ جامعي):

هناك بعض المصطلحات التي وردت في حديث الأستاذ أحمد فراج والأستاذ يوسف سيدهم، وأنه يجب الوقوف أولا عند هذه المصطلحات للخلاصة من دلالتها. وأولها مسألة الحداثة التي لها في رأيي معنيان، فإذا كانت الحداثة بمفهوم الـ modernism، والمفهوم الثاني الـ modernity بمعنى المعاصرة، فما هو مفهوم الحداثة الذي نقصده بالضبط؟ هل نقصد المعاصرة التي هي امتداد أم نقصد القطيعة المعرفية؟

كذلك، إن الدين له علاقتان، علاقة الإنسان بربه الخالق وهذه علاقة سرية لا يطلع عليها آخر، وعلاقة الإنسان بالآخر، ذلك المعنى الذي أجمله الرسول عليه الصلاة والسلام في كلمتين "الدين المعاملة"، بمعنى أنه ركز الدين في المعاملة التي لن تكون إلا بمعاملة الآخر سواء أن كان مسلما أو غير مسلم. وفي ظني، أن كل المتدينين مسلمين كانوا أو غير مسلمين يعانون الآن من هذا الأمر لغياب أمرين: الأمر الأول هو غياب النظرة الشمولية للإنسان المتدين، حيث يقف البعض عند الماضي ويربط نفسه بالدوران إلى الخلف فحسب، وهؤلاء ليست لديهم شمولية النظرة إلى الإسلام، وأن الدين له علاقة إلهية معنوية روحانية وله علاقة مادية أيضا متصلة بعمارة الأرض وبنائها. الأمر الثاني طرح المسألة في صورة ثنائيات، فنحن مغرمون بطرح المسائل في صورة ثنائيات، ونقول هنا "الدين والمعاصَرة" ونسينا أن بين الطرفين ظلال أشياء وهناك ظلال كلمات، وأتساءل عن سبب طرح الأمور على هذه الصورة التي تغري بوجود "واو" المغايرة بين الدين والمعاصَرة.

عشري الساجد (دكتور):

إن كلا المحاضرين أغفل أهمية الأخلاق في الأصالة والمعاصرة وغيرها، فالأخلاق هي أصل من أصول كل الأديان السماوية. وقبل أن أحضر أعدت قراءة العهد الجديد في الكتاب المقدس وقرأت بعض كتب الأحاديث، فوجدت في أحد أحاديث الرسول عليه الصلاة والسلام أن "أول ما يوضع في الميزان حسن الخلق والسخاء"، ووجدت في الإنجيل "فإن المعاشرات الرديئة تفسد الأخلاق الحميدة"، فبدون الأخلاق لن ينصلح أي شيء، وهي ثمرة العقيدة والشريعة، فكنت أرجو من منتدى الحوار أن يقيم محاضرات نتعلم فيها الأخلاق، فهذا ليس عيبا، والشاعر يقول:

والعلم إن لم تكتنفه شمائل بالحق كان مطيـــة الإخفاق
لا تحسبن العلم ينفع وحده ما لم يتوج ربه بخـــــلاق

صلاح فضل:

أريد أن أوضح شيئا بخصوص اختيار عنوان هذه الندوة "القيم الدينية والمعاصرة، وأنه لا يُقصد به على الإطلاق إحداث أية مواجهة، بل إن المسألة للتأمل وإثارة الحوار حول قضية جوهرية وهي في جملتها حقيقية نعيشها، وهي أننا بحاجة إلى استنفار كل طاقاتنا الروحية المستمدة من تراثنا الديني العميق والمتأصل في الشعب

المصري لدفعنا خطوات في سبيل التطور المعرفي والعلمي والحضاري لنحتل ما هو جدير بنا من موقع أفضل مما نحن فيه.

جوزيف ملاك (محامٍ):

من الواضح أننا تعرضنا من خلال الأستاذ يوسف سيدهم والأستاذ أحمد فراج لنوعين من المناقشة، مناقشة أخذت شكلا علمانيا وتعرضت لبعض المشكلات وقامت بسردها، منها مرحلة التعايش التي كانت موجودة في المجتمع المصري في فترة من الفترات والفكر الدخيل الذي اقتحم المجتمع وأثر سلبا على هذا التعايش، والجانب الآخر هو جانب روحاني وهو الذي تعرض له الأستاذ أحمد فراج، وقد عرض قيما دينية سامية وتناقش فيها باستفاضة مستخدما تعبيرات جميلة وروحية ورائعة، لكنه لم يتعرض للسبب الذي أوصلنا إلى المواقف التي ينتقدها الآن، وأتساءل هل تخلينا عن مبادئنا وقيمنا الدينية، أم أن هناك أسبابًا أخرى، وما هي طرق العلاج؟ وأعتقد أنه يجب أن نقوم بالربط بين الفكر الذي طرحه الأستاذ يوسف سيدهم والفكر الذي طرحه الأستاذ أحمد فراج، وقد أشار الأستاذ يوسف سيدهم إلى أن ترسيخ الإيمان العقائدي الداخلي لكل إنسان فينا يؤدي إلى التعايش المشترك والحياة السالمة الهادئة التي نتمناها، ومناطق الاختلاف ومناطق الاتفاق، وعلى ذلك فأرجو أن يتفضل الأستاذ أحمد فراج بالتعليق على الجزئية التي طرحها الأستاذ يوسف سيدهم من خلال فكره الروحاني الجدير بالاحترام.

عزت حلمي:

إن المحور الذي من المفترض أن نعالج به المشكلة التي نطرحها هي الهوية، إن هويتنا كمصريين هي التائهة بيننا حتى الآن، وإذا عدنا إلى تعاليم أخناتون في مصر القديمة سنجد أنها نفس التعاليم التي نحاول الآن تطبيقها مسيحيين ومسلمين. لكن، كان هناك شيء في الحضارة الفرعونية تجعل العالم بأكمله ينبهر وهي هوية الإنسان المصري نفسه، ويتحدث الأستاذ أحمد فراج عن الحضارة الإسلامية وكيف أنها غزت أوروبا، ويتحدث الأستاذ يوسف سيدهم عن المحبة والتلاقي بيننا كمصريين، وأنا مصري قبطي والأستاذ أحمد فراج مصري مسلم، لغتنا العربية لنا هوية تجمعنا معا وستجعلنا نقف بها أمام الحداثة والعولمة وغيرهما مما يواجهنا من الخارج لأننا سنصنع كمصريين متحدين معا حداثتنا وعولمتنا النابعة من مصر.

تيسير الشوربجي (محامية):

سؤالي أوجهه للأستاذ أحمد فراج بشأن حجاب السيدات والفتيات هل هناك تعارض بين ما ترتديه المرأة اليوم وبين الآية التي نزلت بشأن الزي الخاص بالمرأة.

وعندي سؤال للأستاذ يوسف سيدهم بشأن المواطنة، كنا قديما ومازلنا نقول: "لو لم أكن مصريا لوددت أن أكون مصريا"، فما الذي حدث الآن لقيمة هذه العبارة خاصة أن هناك فوراق هائلة بين الطبقات؟

مرتضى سعد:

أود أن أقول ردا على الأستاذ يوسف سيدهم الذي يتحدث عن النفوس الضعيفة التي تثير قلاقل، كما أنه علق على بعض المخاوف، وأحب أن أطمئنه صادقا أن النسيج الاجتماعي ألف في المائة في متانته وقوته، وأسأل الأستاذ يوسف سيدهم كم تلقى من رسائل تهنئة في العيد؟ لكن، ردا على مسألة أصحاب النفوس الضعيفة، أرى أن أحفاد المعلم يعقوب وأحفاد الشيخ البكري من علمانيين يهددون هذا النسيج الوطني، وأود أن أحذرهم ليتركوا هذا البلد هانئا.

نادية إبراهيم (وكيل وزارة السياحة السابق):

ما رأي الأستاذ أحمد فراج في هذا الكم الرهيب من الفتاوى على الفضائيات والتي وضعتنا جميعا في نوع من البلبلة لدرجة أن أصبحت جميع اللقاءات تتحدث عن الفتاوى، ومن ضمنها فتاوى مذهلة، فما هو دور الإعلام ورجال الدولة والدين ورجال الأزهر في أن يتنافس الدعاة في إطلاق الفتاوى، والأكثر من هذا أن هذه الفتاوى لا تدخل في صلب الدين، ولكنها أدخلتنا في مجرد شعائر ومظاهر لا يتقبلها عقل ولا منطق، وبالتالي فإن من لا يصدق هذه الفتاوى يقول بشكل قطعي إننا لا نفهم ديننا.

مارك عياد:

إن العدل والحرية والمساواة هي الوجه الآخر للعقيدة، هذا كلام جميل، لكن أين تطبيقه الآن؟ ولماذا يجب على أستاذ كبير مثل نجيب محفوظ المرور على الأزهر أولا للاستئذان منه قبل نشر روايته إذا كان الإسلام أصلا يقول إنه دين حرية، فلماذا يتحكم الأزهر في كاتب بحجم نجيب محفوظ؟ كذلك، أين العدل وأين المساواة؟ ولماذا توجد حالة احتقان دائمة في الشارع المصري بين المسلمين والمسيحيين؟ صحيح أن هناك معايدات وتهانٍ متبادلة، إلا أن هذه الأواصر ليست متينة، فأي رائحة طائفية ستتصاعد ستجد المصريين انقسموا فورا إلى فريقين، وأتساءل عن سر انتشار التيار الأصولي في الشارع المصري؟ ولماذا لا يُعمل الناس عقولهم؟ أعتقد أننا لابد أن نكشف هذا الجُرح حتى نعالجه، فهذا هو أساس المحاضرة، فلن نتكلم كلاما إنشائيا لنداري به على المشكلات.

كذلك، أسأل الأستاذ يوسف سيدهم عن جريدة "وطني" التي يرأس تحريرها والتي أراها جريدة محترمة وليبرالية، إلا أنه عندما تكون هناك آراء مخالفة لاتجاهات الكنيسة يكون هناك خط أحمر، وأضطر ساعتها إلى أن ألجأ لمجلة روز اليوسف أو لجريدة القاهرة للإعراب عن رأيي المخالف.

فتحي حجازي (عضو لجان الحوار بين المسلمين والمسيحيين):

لابد أن يبدأ المسلمون والمسيحيون من المتنورين الذين تجمعهم علاقات من الحب والاحترام في إنشاء جمعيات حوارية تحت بند الأخوة، وقد كان ذلك موجودا قديما وتم إلغاؤه. ولمصلحة مصر وشعب مصر، لابد أن يكون حوار على المستوى الشعبي حيث يفهم الناس بعضهم البعض دون حساسيات. ولا يجب أن تقوم الدنيا ولا تقعد عندما يغير شخص دينه، ففي فرنسا يسلم خمسون ألف فرنسي سنويا دون أن تهتز شعرة في رأس الحرية، وفي أمريكا عندما يسلم الشباب أو غيرهم لا تتدخل الحكومة الأمريكية أبدا، لماذا نقحم الحكومة في كل شيء.

متحدث لم يذكر اسمه:

يتصارع رجال الدين في القنوات الفضائية مثلهم مثل الفنانين حيث يتصارع كل منهم في اختلاف الرؤى، ومن هنا أسأل الأستاذ أحمد فراج عن برنامجه الجميل "نور على نور" الذي تربينا على قيمه الأخلاقية والدينية.

محمد السيد مسعود (مدرس ثانوي):

بالنسبة للبرامج التليفزيونية، أتساءل لماذا لا نقوم بعمل برنامج نسميه "قضايا معاصرة إسلامية" نرد فيه على الغرب، إن الغرب يقوم الآن بحملة مسعورة على الإسلام والمسلمين، في حين أن برنامجا تليفزيونيا واحدا فقط رد على الإساءة الموجهة للرسول في الرسوم الدنماركية، فأين هم وأين نحن؟ ولا يمكن أن نظل نقوم بتوعية المسلمين بالصلاة والصوم فقط، فلابد من أن يُعرض برنامج مثل الذي أقترحه على قناة Nile TV مثلا بحيث يُعرض باللغة الإنجليزية للرد على هذه الاتهامات عن طريق استضافة مستشرقين من المدافعين عن الإسلام وغيرهم من المفكرين، بل علينا أن نذهب إلى من يسيئون إلى الإسلام في عقر دارهم لنبين لهم سماحة الإسلام وخطأ ادعاءاتهم.

أحمد فراج:

طرحت الكثير من الموضوعات، وحول مسألة رأي الدين في قضايا الاستنساخ والقضايا المعاصرة، أريد أن أقول شيئا هاما جدا وهي أن مكانة العلم في الإسلام واضحة لا تحتاج إلى مزيد من الكلام، وأحب أن أقول إن العلم أصبح حقا من حقوق الإنسان المعروفة، وهو في الإسلام واجب على كل مسلم ومسلمة، كذلك، ليس الأمر مسألة واجب منصوص عليه بحيث ينتهي دور الثقافة والتشريع الإسلامي، ولكن من الأشياء الغريبة والملفتة في الدين أن ترك هذا الواجب عليه عقاب، وهذه مسألة غير موجودة في أي ثقافة معاصرة، لأنه إذا كان من حق الفرد أن يتعلم فمن حقه أيضا أن يختار ألا يتعلم، لكن في الإسلام يعاقَب عن

التخلي عن التعلم، وحديث الرسول عليه الصلاة والسلام واضح: "ما بال أقوام لا يفقِّهون جيرانهم ولا يعلِّمونهم ولا يعظونهم ولا يساعدونهم ولا ينهوْهم، وما بال أقوام لا يتعلمون من جيرانهم ولا يتفقهون ولا يتعظون" وعندما بلغ الأشعريون هذا الكلام أحسوا أنهم المقصودون بهذا الكلام، فسألوه: "يا رسول الله، ذكرت قوما بخير وذكرتنا بشر"، فأعاد عليهم نفس الكلام، ثم أردف بقوله "أو لأعاجلنَّهم العقوبة"، والمقصود أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان يعيب على المتعلمين بواجبهم في تعليم من هو في حاجة إلى تعلم ويعيب على غير المتعلمين تقصيرهم في طلب العلم.

وقد تكفل الوحي بتعليم الناس ما يتعلق بالعقيدة والشريعة، أما فيما سوى ذلك، فقد وضع الإسلام المنهج العقلي، أي المنهج في التفكير وإعمال العقل والتبصر والتفكر، وكلها قضايا تؤدي إلى العلم، فلا يصح أن نسأل عن رأي الإسلام في الاستنساخ، لأن الإسلام طلب منا في الأساس أن نُعمل عقولنا ونتعلم ونعلِّم الآخرين، فقد أعطى هذا الدين كل الطاقات الممكنة لفتح باب التعلم في كل مجالات المعرفة على أساس أن هذه مسئولية يجب أن يمارسها المسلم.

وحول سؤال ورد عن سبب عدم تسمية المسلمين مساجدهم بأسماء الأنبياء المذكورين في القرآن مثل النبي إبراهيم خليل الله والنبي موسى كليم الله والنبي عيسى بن مريم روح الله وكلمته وغيرهم، باختصار شديد "إن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحدا"، ونحن لا نقول على مسجد المدينة مسجد محمد، وليس أكثر من ذلك دليل.

وحول سؤال يقول إنه في إطار الحديث عن دولة الماضي، يرجى توضيح كيفية تطوير الخطاب الديني في الإسلام في الوقت الذي يصل فيه العالم إلى قمة التكنولوجيا وخدمة العصر، ولا أعرف ما المقصود هنا بدولة الماضي، فإذا كان المقصود بها أننا نتحدث عن الدولة الإسلامية التي أقامها الرسول عليه الصلاة والسلام والمسلمون الأوائل في الصدر الأول من الإسلام بكل معطياتها للقيم وللحياة، فنحن ننشدها جميعا، لكن أهم شيء أن لا نحتر الماضي ولا نرى منه سوى صورا زاهية وننفصل بالتالي عن الحاضر، وعندما يأتينا الإسلام بقيم فيجب أن نوظف هذه القيم حتى نقيم الحياة على أجمل صورة ممكنة. أما عن الخطاب الديني، ففيه الثابت وفيه المتغير، وما يتعلق بالمتغير يخضع للقواعد العلمية التي يجب أن نؤمن بها وأن نعمل في تطوير هذا الخطاب بما يتفق مع المصلحة، والقاعدة الشرعية تقول "حيثما كانت المصلحة فثم شرع الله"، فكل قضية بها الرحمة والحكمة والعدل فهي من الدين حتى ولو لم يكن يوجد عنها نص، وكل قضية تخرج عن ذلك ليست من الدين في شيء، وهذه قواعد عامة وضعها الإسلام، وهناك ثوابت لا مجال للاجتهاد فيها، فمسألة الميراث مثلا والتي يتجلى بها العدل، والسؤال هو كيف نطبق العدل الذي تم تطبيقه منذ ألف عام اليوم؟ وكيف نطبق الشورى التي طبقها المسلمون في الصدر الأول من الإسلام وكيف يطبقونها الآن؟ وحتى الرسول عليه الصلاة والسلام نفسه كان يستشير بل إنه كان أوسع الناس مشورة، وقد تربى المسلمون على الشورى، وفي أعقاب غزوة بدر، طلب الرسول رأي صحابته في أمر الأسرى، فأبدى كل منهم رأيه واختلف عمر بن الخطاب مع

رأي أبداه أبو بكر الصديق بالإبقاء عليهم، فقد طلب عمر بن الخطاب أن يأذن له الرسول بأن يقتل فلانا من عشيرته وأن يقتل كل رجل من المسلمين رجلا من بني عشيرته عن ثأر سابق عن كل منهم، ويكشف اقتراحه هذا عن نعرة قبلية كانت لا تزال موجودة في نفوس المسلمين الأوائل، ويظن البعض في هذا الموقف أن القرآن نزل مؤيدا لاقتراح عمر بن الخطاب وهذا ليس صحيحا على الإطلاق لأن القرآن لم يأمر أبدا بقتل الأسرى، فقد نزل القرآن الكريم في هذه المناسبة بقوله "فإما مَنـــًّا بعد وإما فداءً"، فقد حرم الإسلام قتل الأسير في قانون سبق التشريع الدولي الحديث بأكمله. إذن، ففي الخطاب لابد أن نلاحظ أوضاع الناس، والفقه الإسلامي ينص على أن الفتوى تتغير بتغير الزمان والمكان والأحوال والأعراف. والقصة معروفة عن أحد العلماء الذي استعان بكلب حتى يحرسه على الرغم من انتمائه إلى مذهب يحرم الكلب ويعتبره نجاسة، وعندما انتقده الناس لمخالفته لفقه إمامه رد قائلا: "رحم الله مالكا والله لو كان حيا لاتخذ أسدا"، وتظهر من ذلك مرونة الإسلام وقابليته للتطبيق في كل زمان ومكان.

حول الصراع والتنافس بين الدعاة في الفضائيات أقول إنني من الذين يتأذون كثيرا من انتشار الفتاوى على الهواء، وهذه مشكلة من أسوأ المشكلات وممارسة من أسوأ الممارسات التي تحدث في أية محطة تليفزيون، فمن يتصدرون للفتوى لا يكونون مؤهلين في الغالب لهذه المهمة العسيرة، وما رأيت أحدا منهم قط قال "والله أعلم"، وإن رددها بعضهم يكون عن تظاهر وليس عن إيمان حقيقي بها. وذات مرة، أعددت برنامجا في قناة دريم وكنت أستضيف المفتي الدكتور علي جمعة، ثم طرحت عليه سؤالا لم أكن قد أعددته قبل الحلقة، إلا أن الدكتور علي جمعة تفضل بالإجابة جزئيا، ثم أوقف حديثه قائلا إن هذا موضوع يحتاج إلى دراسة، فتعلقت بهذه الكلمة وانتقدت على إثرها كل هؤلاء الذين يفتون في أمور الناس بغير علم ولا دراسة، مع العلم أن علي بن أبي طالب قال "لا أدري: من العلم" أي أن الجهر بعد المعرفة يُعد في حد ذاته من العلم، لكن للأسف يرددها البعض عن غرور وبمظهرية وكأن ما قاله لا يمكن أن يكون بعده صواب آخر. وهذا ما نعاني منه طوال الوقت، هذا النوع من الفتاوى المرتجلة، وقد عرفت شخصا واحدا في حياتي التليفزيونية وهو الشيخ محمد أبو زهرة رحمه الله منذ الستينيات وحتى الآن هو الوحيد الذي كنت إذا ما سألته أي سؤال في أي موضوع تكون إجابته دوما وكأنه يقرأ من كتب مفتوحة حيث يرجع دوما إلى ما قاله من سبقوه من العلماء، وهذه الطريقة لم أشهدها أبدا في أي ممن استضافهم برنامج نور على نور. وعندما كنا نخصص حلقة واحدة شهرية من البرنامج عن الفتاوى، كان لابد للعالم الذي نستضيفه من إعداد إجابات جيدة ووافية عن أسئلة أعطيها له قبل ميعاد الحلقة بوقت كاف، على الرغم من أن هؤلاء علماء كبار من أمثال عبد اللطيف السبكي رحمه الله والسيد سابق رحمه الله والشيخ خاطر، أما الآن فالمسألة أصبحت عشوائية تماما، وبعض هؤلاء الدعاة من الأذكياء الذين يجيدون الهروب من الإجابة على الأسئلة بفتح موضوعات أخرى بعيدة تتوه فيها الإجابة، حتى أن أحدهم أهدى حديثه ذات مرة بقصيدة لشوقي، وللأسف أن المذيع قال له "أحسنتم يا أستاذ!!"

حول وجود برنامج عن قضايا معاصرة للرد فيها على من يهاجمون الإسلام، أقول عن البرامج الدينية ليس بالعدد ولكنها بالمضمون، وأتمنى أن يُذاع برنامج نور على نور بشكل منتظم ليستفيد منه الجمهور، إلا أن التغيير المستمر في أيام وساعات عرضه تجعله بعيدًا عن متناول المشاهد، أما من حيث الموضوع فلابد أن تغطي الموضوعات القضايا التي تشغل الناس وتقع في نطاق اهتماماتهم، وأعتقد أن هذا يحتاج إلى مجهود، وأن أهم شيء أن يكون الضيف أهل للتصدي لهذه الأمور، وأنا آسف لأن أقول هذا الكلام، وأنا أرى أن التليفزيون يفسد العلماء! وقد قابلني أحد العلماء على باب التليفزيون ذات يوم وسألني عن موضوع معين في الدين وماذا يمكن أن نطرح فيه؟ فأوضحت له النقاط التي من الممكن أن يطرحها وأوضحت له أن هذا موضوع يحتاج إلى جلسة لتوضيح تفصيلاته، فأبلغني أنه داخل الآن للتسجيل، وفهمت أنه سيكتفي غالبا بما أوجزته له! وهذا الموقف لا يعفي التليفزيون من المسئولية، فإن برامج التليفزيون هي التي تتصل بالعالم أو الشيخ قبل التسجيل بوقت ضيق ليحضر للتسجيل، وهذا يؤدي إلى عدم الإعداد الجيد للبرنامج. ولا أتحرج أبدا من تكرار ذكر المجهود المبذول في برنامج نور على نور، إذ أستضيف من سأسجل معه الحلقة القادمة من البرنامج في منـــزلي خمس ساعات أو يزيد نتحدث ونتناقش حول ما سيدور في الحلقة لدرجة أن بعض الضيوف يندهشون من هذا وبعضهم لا يعتقد أن هذه هي طريقتي، كما أن كلاً منهم يراجع ما قلناه بمفرده عند عودته إلى منـــزله، فكأنه يذاكر، وهذا ليس عيبا أبدا، فأساتذة الجامعة حتى الكبار منهم يقومون بإعداد محاضراتهم قبل إلقائها على الطلبة، ولا يكرر ما لديه من مخزون. إذن، فهي مسئوليتنا أن نرفع مستوى الجمهور والبرامج.

وحول مسألة ما إذا كان هناك تناقض بين منظومات القيم الدينية، أؤكد أنه لا يوجد أي تناقض، وإذا لم نفهم الإسلام الفهم الصحيح، فسوف تكون القيم الدينية العليا قيما مقيِّدة لحريتنا وكابحة لحركتنا. وفي الإسلام هناك نوعان من القواعد، قواعد ثابتة لا تتغير بتغير الزمان والمكان مثل الأحكام الخاصة بالأسرة والتي لا تتغير لأن الأسرة كانت وستظل باقية كنواة للمجتمع، ويدخل القرآن الكريم حتى بين الزوج وزوجته، وقد حدث أيام عمر بن الخطاب أن ذهب رجل للإصلاح بين زوجين ثم عاد إلى عمر بن الخطاب وقال له إنه فشل في الصلح بينهما، فقال له عمر "كذبت لأن الله يقول "إن يريدا إصلاحا" وهما اللذان لم يريدا الإصلاح"، إذن، فالأمور الثابتة لن يغيرها الزمن. لكن هناك أمورا مثل النظام السياسي تتطور مع الزمن، وقد بدأ الإسلام بنظام الشورى، وانتهى العالم الآن إلى الديمقراطية كنظام حديث للحكم، ولا مجال هنا لأن ندخل في معضلة إن الشورى ليست الديمقراطية وأن الديمقراطية ليست الشورى، فهذا حديث من لا يفهم الإسلام.

وأؤكد أن مطلب العقل من الدين ألا يكون الدين حجر عثرة للعقل والفكر والتطور، لكن لا مجال أن نقول ماذا قال الدين في الاستنساخ أو غيره كما قلنا، ولقد غير العلماء المسلمون أخطاء في نظريات كانت موجودة في الحضارة اليونانية والرومانية لم يحضروها من القرآن الكريم، ولكنهم أعملوا عقولهم لتصويب آراء وترجمتها ونقلها وهضمها والاستعانة بها، فقد كان لديهم احترام لأفكار من سبقهم، فالإسلام كان دائمًا

يحترم السابقين ولا يفرض ثقافته على غيره، فقد كان يعتبر أن العلم منظومة متكاملة كل منا يضيف شيئا إليها.

وحول مسألة الرد على الهجوم على الإسلام، ليس من المفروض أن نتفرغ للرد لأن الهجوم على الإسلام مسألة لا تتوقف، وبدلا من أن نخصص قناة أو برنامجا للرد أقترح تخصيص قناة لطرح الإسلام الصحيح على الناس، وعندما يتم طرح الصورة الصحيحة لهذا الدين، فسوف يمكن وقتها حل مشكلات التعصب ورفض الآخر. إن موقف الإسلام من أهل الذمة موقف غير مسبوق، فقد قال الرسول عليه الصلاة والسلام "من آذى ذميا فقد آذاني ومن آذاني فقد آذى الله"، هذا معناه أن إذا كان الأذى لمسلم فيكون إثما ضد مسلم أما لو كان ضد ذمي فيكون أذى للرسول شخصيا وأذى الرسول يعني أذى الله. كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام "من خاصم ذميا فقد خاصمته وكنت خصيمه يوم القيامة"، وفقه الإسلام المعاصر يقول إنه في حياتنا المعاصرة لم يعد هناك من يسمى بالذمي، بل هناك مواطن مسلم ومواطن مسيحي، وقد أعلن بعض الفقهاء المتنورين إن الحقوق التي كانت لأهل الذمة قبل حدوث التطور التشريعي وسيادة مبدأ المواطنة التي جعلت الكل سواء أمام القانون، تنتقل إلى المسيحيين مع هذا التطور، وكأن الإسلام يحابي المواطن الذي كان أصله ذميا، ولا غضاضة في قول ذلك.

وأيام الرسول عليه الصلاة والسلام، دخل وفد من نصارى نجران على الرسول في زيارة، وعندما حان وقت صلاتهم وهم في مسجد الرسول، قاموا ليصلون عكس قبلة المسلمين، وعندما احتج المسلمون قال الرسول الكريم "دعوهم وقبلتهم". وذات يوم مرت جنازة أمام الرسول عليه الصلاة والسلام فهب واقفا، فأوضح له المسلمون أنها جنازة ليهودي فقال "أليست نفسا؟"، فهذا هو المناخ الذي شاعت فيه الثقافة الإسلامية والذي نريد له أن يسود.

وقد سمعنا جميعا عن فتوى الاستحلال، أي أن سرقة الأقباط حلال لأنهم على غير دين الإسلام، وهذا مخالف للفهم الإسلامي الصحيح، فالرسول عليه الصلاة والسلام في عام الهجرة أبقى الإمام علي بن طالب في فراشه ليرد الأمانات والودائع إلى المشركين والكفار من أهل مكة، وكان هو أولى أن يستحل أموال هؤلاء الذين حاربوه وآذوه وطلبوا دمه، لكنه لم يفعل لأن ذلك منافٍ لتعاليم الإسلام. وإذا نظرنا لبعض الأمور بعقلانية راشدة سنجد أن بعض فقهاء المسلمين مثلا أجازوا الاتجار في الخمر لغير المسلم.

وحول السؤال عن إهمال الأخلاق، أقول إن به ظلما على الندوة، فقد ركزت الندوة على موقع القيم الاجتماعية والأخلاقية من الدين، ولو أخذنا المنظومة الأخلاقية لوجدناها تمتد إلى كل تفصيلة في حياة الإنسان، ويقول القرآن الكريم "فلا اقتحم العقبة، وما أدراك ما العقبة، فك رقبة، أو إطعام في يوم ذي مسغبة، يتيمًا ذا مقربة، أو مسكينا ذا متـــربة"، نزل هذا التشريع قبل أن يصدر أي قانون من قوانين حقوق الإنسان، وقبل أن يكون هناك أي تشريع في مكة يحكم الرق، وهناك ربط دائم بين القيم الدينية العليا وبين القيم الأخلاقية وذلك حتى يبين أن هذا نسيج واحد فلا ينبغي أن يعمل المسلم في الحياة منفصلا عن قيم الدين

ولا عن القيم النبيلة والخلقية، ونسمع حديث الرسول عليه الصلاة والسلام "المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضا" وحديثه "من لا يرحم الناس لا يرحمه الله"، "من لا يرحم لا يُرحم"، "لا تحاسدوا، لا تباغضوا، لا تدابروا"، "المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يحقره"، "بحسب امرئ من الشر أن يحقر أخاه المسلم"، أليس كل ذلك كلاما أخلاقيا؟ وكل ذلك ينطبق على المسلم وغير المسلم لأنه في مجتمع واحد يتساوى الكل من أهل كل دين. وإذا كان من الحرام أن يستحل المسلم دم أخيه، فالمال أيضا لا يجوز له أن يستحله، والواجبات والتكاليف الاجتماعية قد تكون في بعض الأحيان أهم من العبادة، أهم شيء ألا تنفصل العبادة عن القيم المستخلصة منها، لأنه إذا حدث ذلك يكون المجتمع مهترئًا، وإذا كنا نعيش في ظل منظومة من القيم التي لا علاقة لها بالدين، فقد حدث انفصال بين الدين والدنيا وبين الأخلاق والسلوك، وهذا هو ما يرفضه الإسلام، والذي يدربنا على عكسه في آيات القرآن الكريم، وأذكر سورة المطففين "ويل للمطففين" والتطفيف ليس فقط الغش في الميزان ولكن التطفيف جزء من الخلق الذي يجب أن يزول زوالا كاملا من المجتمع الخاص بنا، فالتطفيف يعني أن يظلم الإنسان أخيه بأن يأخذ حقه كاملا دون أن يعطي الناس حقوقهم.

وفي النهاية أقول عن المعادلة الاجتماعية للمسلمين هو أن الشريعة قد تعلمناها من الله، أما العلم الدنيوي فعلينا أن نُعمل عقولنا، والمنهج العلمي والفكر العلمي والانطلاق العلمي لا قيد عليه، وعلينا أن نتذكر دوما أن "الحكمة ضالة المؤمن أنّى وجدها فهو أحق الناس بها". وطبقا للمعادلة الاجتماعية الإسلامية المذكورة في القرآن الكريم "إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بأنفسهم" نستطيع أن نغير مجتمعاتنا بهذه المعادلة البسيطة، ورحمه الله أستاذنا الجزائري مالك بن نبي وهو فيلسوف مسلم وأساس دراسته الهندسة، قال عن هذه الآية إن لفظة "ما بقوم" تساوي لفظة "ما بأنفسهم"، إذن، فهذه هي معادلة التغيير، فعلينا أن نغير ما بأنفسنا إذا أردنا أن نخطو إلى قيم فاضلة يعيش فيها المواطن المسلم والمسيحي واليهودي إذا وُجد على نسق من منظومة قيمية لا تعرف إلا وجه الله وإلا العدالة المطلقة التي يتساوى فيها الناس على قدم واحدة، ولابد أن نغرس هذه القيم في أولادنا وبناتنا وفي مدارسنا ومناهجنا وفي وسائل الإعلام الخاصة بنا، وأن لا يكون هناك تناقض بين ما نعلمه لأولادنا وما يخرجون ليجدونه خارج المنـــزل، بل وحتى داخل المنـــزل، أحيانا يكتسب أولادنا عادات قبيحة دون أن ندري، فإذا طلبني أحد في الهاتف وطلبت من ابني أن يبلغه أنني غير موجود أكون قد علمت ابني الكذب دون أن أدري أو أقصد.

يوسف سيدهم:

حول ضياع الهوية المصرية أقول إن هذه مسألة هامة جدا، وأؤكد أن البحث عن الهوية لا يعني التخلي عن الإيمان أو العقيدة ولا وضعهم متواجهين متصادمين، وعندما يُفتح هذا الملف أحب أن أشير إلى نقطة تعد من المسكوت عنه، ففي إطار بحثنا عن هوية الإنسان المصري نحتاج إلى أن ننشر نظرة تصحيحية للتاريخ المصري لأن التاريخ المصري مجزأ بين المصريين، ومن النقائص الموجودة أن هناك بعض المصريين الذي يفخرون بجزء من التاريخ المصري ويتبرأون من جزء آخر، والعكس يحدث من البعض الآخر، والمجتمعات التي كانت

صاحبة حضارة وصاحبة إسهام في الإنسانية لم يكن تاريخها وتراكم خبراتها وتجاربها على مر العصور كلها مضيئة، ولكنها تنظر بكل الفخر لكل مشوارها عبر التاريخ بحيث لا تستطيع أن تبقي جزءا منه و تخفي جزءا آخر، ولا تستطيع أن تمتلك المناطق المضيئة وتدفن المناطق المظلمة لأننا لابد وأن نفخر بأن هذا المخزون كله هو الذي أوصلنا إلى حيث نقف في أية فترة زمنية لنبني عليه مستقبلنا. ونحن في حاجة إلى أن نمتلك تاريخنا بكل أمانة، ولسنا في حاجة إلى أن نتقاذف أجزاء منه بين بعضنا البعض، وإذا استمر الأمر هكذا بتقسيم تاريخنا بيننا وبين بعضنا البعض، فسوف نبدأ بالبحث عن هوية أخرى غير الهوية المصرية. ومن الخطايا التي نرتكبها والتي نحتاج إلى تصحيحها ليس فقط من منظور المواطنة والمحبة ولكن من منظور أنها حقيقة راسخة هي خطيئة بشعة ومدمرة يرتكبها جزء من المسيحيين عندما ينشرون مقولة زائفة أنهم أصحاب هذه البلد الأصليون، وهذا حديث ليس فقط مدمر لكنه حديث زائف تاريخيا وضد ما أقره العلماء والمؤرخون، فالمصري بغض النظر عن عقيدته هو ابن هذه الأرض ولا يمتلك أحد على أرض مصر دما مصريا مائة في المائة أبدا، وكلنا شركاء في هذا الوطن وأبناء وبنات هذه الأرض.

وحول مسألة الحجاب، أحب أن أروي شيئا بعيدا عن الفتوى التي لا أجرؤ عليها في هذه المسألة، وهي أننا عندما أقمنا برلمان "شباب وطني" كنا نجمع الشباب في معترك ديمقراطي، وهذا المعترك به الرأي والرأي الآخر وفيه قبول الاختلاف والتعايش مع الخلاف، فلم يكن ممكنا أن نغلق "برلمان وطني" على ما نعتبره مقبولاً لنا فقط، وكان هذا تحديا جعلنا نشعر أنها فرصة ظهرت لمجتمعنا الذي يعاني من مشكلة في موضوع الولد والبنت وعنده مشكلة في موضوع المسيحي والمسلم، وأن برلمان "شباب وطني" يرحب ويقبل ويعيش هذه التجربة. وكانت عندنا تجربة جميلة أنا فخور بها بالنسبة لبناتنا المحجبات، لأن هناك رأي مندفع عند كثير من المسيحيين وعند قليل من المسلمين أن الحجاب هو حجاب على العقل، والسؤال هو هل هذا بالفعل حجاب على العقل أم هو غطاء على الرأس؟ فهذا واجبنا تجاه كل حجاب، أن نمد يد المحبة والتواصل حتى نستكشف ما إذا كان هذا الحجاب على العقل أم غطاء على الرأس، وقد اكتشفنا بأننا مدينين لكل فتاة ولكل سيدة محجبة بالتواصل معها بعد أن أثبت لنا أن هذا غطاء على الرأس فقط وليس حجابا على العقل إطلاقا وأن هذه حرية شخصية ولا دخل لنا بها إطلاقا.

وحول مسألة أن النسيج المصري بخير، والحديث عن كم التهاني التي وصلتني في الأعياد، أقول إنه بالفعل قد وصلتني تهانٍ كثيرة جدا، لكن ليس هذا ما يسعدني، لكن ما أسعدني هو أن هذه المجاملات قد جاءتني ممن أتواصل معهم طوال العام، ولا أتحدث هنا عن اللقاءات حول الموائد الرمضانية التي نقيمها مثلا في جريدة "وطني"، فمن الطبيعي أن من يعملون في مجال واحد يتشاركون الطعام في نفس المكان، لكنني أتحدث عن العيش المشترك، فالمصريون طوال عمرهم يتشاركون في المناسبات السعيدة وغير السعيدة، أما الصدع الذي نريد رأبه هو أنهم توقفوا أن يمدوا هذه الروح إلى أولادهم وبناتهم، وهذه هي المنطقة التي نريدها أن تحل محل التهاني إذا كانت التهاني بدون هذا التواصل.

وحول الخط الأحمر لجريدة "وطني" إزاء نشر نقد الكنيسة، أقول إننا باستمرار لا نخجل أن نقول إن لدينا خطا أحمر ضد نقد المؤسسة الدينية في مصر، وإذا كان القارئ قد التقط أننا ننتقد المؤسسة الدينية الإسلامية، فله ساعتها حق علينا ونحن مدينون بالاعتذار له، لكنني أؤكد أن لدينا خطا أحمر نلتزم به ضد نقد المؤسسة الدينية، وذلك حتى يصل مجتمعنا إلى درجة من الشفافية التي تجعلنا ننظر إلى نقد المؤسسة الدينية إذا انتقلنا إلى درجة أكثر من قبول الرأي الآخر وعدم اعتبار النقد تجريحًا وهو ما لا نقبله. ويوم أن يتوقف مجتمعنا عن النظر إلى نقد المؤسسة الدينية على أنه تجريح وأنه بناء، فمن الممكن ساعتها أن نزيل هذا الخط الأحمر لأننا نرفض التجريح.

وحول مسألة تأسيس حوار على المستوى الشعبي، أقول إن هذا ما ندعو إليه، وأن هذه هي الدعوة التي نطلقها، وأن يتركز الحوار حول مسألة أين أنشطة العيش المشترك لنحييها، وذلك حتى لا ننـــزلق في مسألة العلاقة المشروطة باعتراف الآخر بعقيدتنا وباعترافنا بعقيدة الآخر، وليس هذا بالطبع الحوار الذي نقصده، فالحوار الذي نقصده هو مهما كانت الأجندة تختلف، فهذا ليس مدعاة للقطيعة، ولكنه مدعاة للتواصل لأن أرضية المواطنة هي المنطقة المشتركة التي لابد أن نتقدم ونقف فيها.

صلاح فضل:

نشكر الأستاذين الجليلين على الندوة القيمة.